سندی نو یافته دربارهٔ شهادت شهید ثانی

رضا مختاری

متن زیر گزارشی است نو یافته دربارهٔ شهادت شهید ثانی. این گزارش در سفرنامه قطب الدین نهروالی است با عنوان «الفوائد السنية في الرحلة الروحانية والمدنية» که نسخه خطی آن در کتابخانه ولی الدین استانبول به شماره (۲۴۴۰) موجود است. این اثر به انگلیسی ترجمه و منتشر شده اما متن عربی آن همچنان مخطوط است:

في ثامن شعبان أمر الوزير الأعظم بقتل الشيخ زين الدين الجبل عامري [كذا، والصواب: عاملي] فأُتي به إلى الديوان ولم يُسأل عن شيء، وأُمر به إلى الأسقالة فقطع رأسه هناك وفتحوا أخمص رجليه بالسيف وكان يتشهّد عند قطع رأسه. وكان من قصته أنّه كان بالشام في أيّام حسن بك أفندي وكان متّهماً بالرفض فأُخذ وأُتي به إلى حسن بك فسأله عن مذهبه فقال إنّه شافعي وتكلّم معه بكلمات علمية فإنّه كان فاضلاً مفنناً وترضّى عن الصحابة وأورد أحاديث شريفة في فضلهم وفي فضل الشيخين -رضي الله عنهما- فأحسن إليه الأفندي حسن بك وأطلقه فلمّا برز من عنده قيل للأفندي: «إنّ هذا من كبار علماء الرافضة وهو مجتهد مذهبهم وله عدّة كتب في مذهب الرافضة». فأرسل إليه يتطلبه ثانياً فاختفى ولم يظهر وصار ذلك عقدة في خاطر حسن بك قاضي الشام وتأسّف على خلاصه من يده فعزل عن الشام وولي قضاء مكة المشرّفة فصادف مجاورة الشيخ زين الدين بمكّة فأُخبر الأفندي بأنّه بمكّة فأمر بالقبض عليه فقبض عليه فحبسه وسعى كثير من الناس في إطلاقه وبذلوا له على ذلك مالاً فتسلّم المال وقال: هذا من عند من؟ فقيل له: من عند الخواجا محمّد مكي. فطلب وسُئل عن ذلك فأنكر أن يكون المال له فذهب المال وعجز الناس عن استخلاصه. فأرسله إلى مصر مقيّداً مع حسين بك كتخدا جدّة وأمره أن يوصله إلى الوزير الأعظم فأوصله إليه فأمر بقتله على هذه الصورة.

وكان رجلاً ظاهره في غاية الاستقامة والله تعالى أعلم بباطنه وكانت له فضيلة تامّة وحسن محاورة ولطف مكالمة (تجاوز الله تعالى عنه ومحا سيئاته؛ فإنّ السيف محّاء للذنوب).